

العنوان:	القيادات في ظل الحماية : نموذج قيادة الحاجي : المجال ، التطور التاريخي ، الفعاليات
المصدر:	مجلة أمل
الناشر:	محمد معروف
المؤلف الرئيسي:	ركوك، علال
المجلد/العدد:	مج 7, ع 19,20
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2000
الصفحات:	213 - 219
رقم MD:	130182
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink, AraBase, HumanIndex
مواضيع:	القبائل العربية، القبائل المغربية، التاريخ، المغرب، قبيلة الحاجي، الإحتلال الأوروبي، القيادة السياسية، الحاجي ، أحمد، الفرنسيون، الشياظمة، العلاقات السياسية، الأحوال السياسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/130182



القيادات في ظل الحماية نموذج قيادة الحاجي: المجال، التطور التاريخي، الفعاليات

ذ.علال ركوك *

1. الإطار المجالي والبشري لقيادة الحاجي :

يحدد هذا الإطار جغرافيا في منطقة الشياظمة التي تقع آخر السهول الأطلسية في الجنوب. وطبعا تتكون حدودها من عبدة شمالا، حاحا جنوبا، أحمر والحوز شرقا وغربا يحدها المحيط. وتتكون الشياظمة من مجموعة من القبائل مثل الحارث، أحمر المدارعة، المخاليف، المناصير، النجوم، أولاد عيسى، أولاد الحاج الطالة، الثوابت، الزاوية، هذه القبائل تشكل الشياظمة الشمالية. أما الشياظمة الجنوبية فتتكون من القرى: الحنشان، إذاوكورض، مسكالة، النيرات، أولاد بونجيمة، أولاد حسن، الكريمات وزاوية رجراجة. ومن خلال المصادر يتبين أن سكان الشياظمة يشكلون خليطا من العرب المضرية كبني الحارث)رهط من بني هلال(، ومن عرب بني معقل، إضافة إلى العنصر البربري من مسكالة ورجراجة. وكل هذه العناصر تدخل ضمن المصامدة التي ذكر بصددها الحسن الوزان بأنها تسكن الجزء الغربي للأطلس من حاحا إلى وادي العبيد، وكذلك الجهة المواجهة للجنوب وجميع السهول المجاورة، وتحتل أربعة أقاليم: حاحا، سوس، جزولة وناحية مراكش(1). أما بخصوص التسمية نورد ما جاء عند صاحب الاستقصاء:

إن هذه المنطقة ظلت كلها قبل تعريبها لا تعرف إلا باسم رجراجة على طول الجناح الشمالي للصويرة بينما الجنوبي كانت فيه حاحا: أما تسمية الشياظمة فلم نسمع بها إلا انطلاقا من العصر السعدي حيث سمعنا بوزراء شيظميين وكتاب كان لهم نفوذ في بلاط المنصور(2).

---

* أستاذ باحث بكلية الآداب بني ملال.

وتعتبر قبيلة رجراجة من أهم القبائل بالشياظمة، لها أدوار مهمة وبارزة خصوصا على المستوى العقائدي والجهادي. وفي هذا الصدد يقول ابن منصور "...فرجراجة أشرف قبائل مصمودة لسبقهم إلى الإسلام وجهادهم في سبيله حتى يقال أن قدماءهم شدوا الرحلة إلى النبي بمكة في أول ظهوره وأسلموا ثم رجعوا إلى المغرب. كانت مواطنهم على عدوتي وادي نفيسة «تانسيفت» عند مصبه في البحر ثم تلاشوا في القبائل فبعضهم بسوس وبعضهم بالسراغنة، وبعض آخرفي جهات أخرى، ولم يبق منهم في مواطنهم الأولى إلا قبيلة صغيرة مندمجة في شعب الشياظمة»(3). لرجراجة عدة زوايا يتجاوز عددها الثلاثين شكلت دائما نقطة انطلاق الجهاد منذ عهد عقبة بن نافع وخلال الفترة الوسيطية والحديثة أو حتى في الفترة المعاصرة ضد المعمرين، حيث تعاطفوا مع حركة أحمد الهيبة وكانت لهم مساهمات مع رجال الحركة الوطنية (4).

2 – الجذور القبلية لقبيلة الحاجي :

تنحدر عائلة الحاجي من أحدى القبائل العربية الكبرى التي تعتمد نصف الترحال، والتي كانت تستقر على ضفاف نهر ملوية من أقصاب الشرفاء إلى أولاد حميد، وتمتد على هضبة الركام وعلى منطقة مهمة من جبيبات دبدو. وقد تفرعت عدة أفخاد عن هذه القبيلة الأم. وقد استقرت قبيلة القائد بالشياظمة عند أولاد عبد الرحمان ضمن أسرة أهل أبيان الكبيرة. وعند قدومهم استقبلوا بترحاب كبير بالمنطقة خصوصا من طرف الشرفاء أولاد بوسبع الذين اتحدوا معهم حتى أصبحوا يكونون أسرة واحدة خصوصا مع أولاد عزوز المنحدرين من مولاي أحمد بن مولاي إدريس. وحسب ما جاء في كتاب «أعيان المغرب» فإن من بين أهل الحاجي نجد الكثير من الأولياء الصالحين المعروفين الذين أسسوا بعض الزوايا المهمة التي تحمل أسماءهم مثل سيدي المختار. وفي نفس السياق، يذكر الناصري بعض أقطاب هذه العائلة كأبي محمد عبد الله بن سيدي، وأحمد حجي الذي توفي سنة 1710 بسلا، والقائد غانم حجي الذي كان بالبلاط إلى جانب السلطان العلوي مولاي إسماعيل وعين من طرف خلف هذا الأخير مولاي أبو الحسن علي وأصبح واليا على مدينة فاس مكان مسعود الغوسي. لكن السكان الثائرين رفضوه فرجع إلى مكناس سنة 1147 هـ/1735.

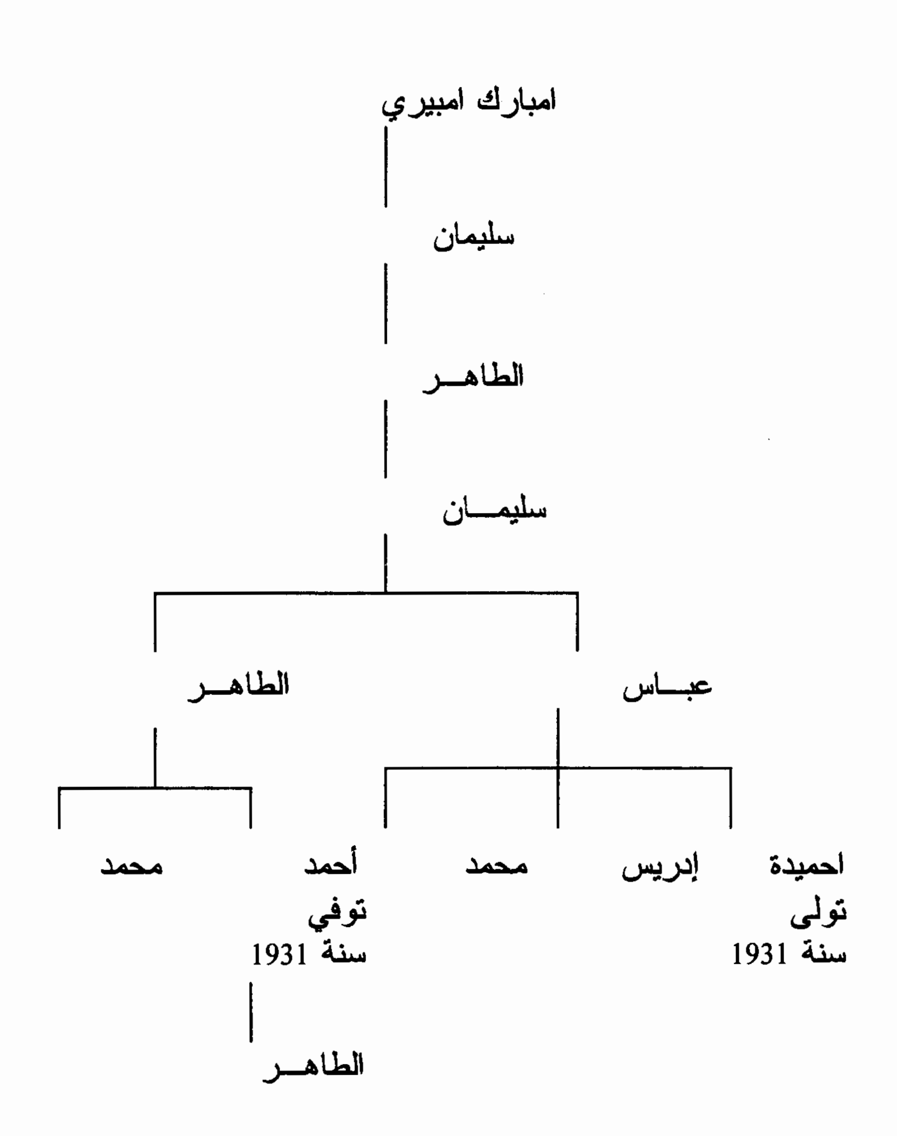
3. قيادة عائلة الحاجي: البدايات

تولى أول عناصر هذه العائلة القيادة امبارك المبيري الذي استقر بالشياظمة قادما من سيدي المختار، وهو الذي أسس القصبة المسماة دار القائد الحاجي.

1 ـ 3 ـ القائد سليمان امبيري

استقدمه السلطان المولى عبد الرحمان عام 1247 وبقي مستخدما إلـى سـنة 1259، فثارت القبيلة ففر إلى آسفي، وبعدها بقي على خدمته إلى أن كـانت واقعـة الصويرة حيث خرج لداره بالبادية. ولما انكشف الغبار ورجعت المياه إلى مجاريـها فتشت داره بالصويرة فلم يجدوا إلا الحصير.

الشجرة العائلية للحاجبين



3 ـــ 2 ـــ القائد عباس بن سليمان :

كان قائدا على الشياظمة ورثنانة زمن السلطان الحسن الأول. كان رجل دينولما توفي السلطان المذكور استمر القائد عباس في قيادته بعد أن حصل على ظهير توليته على يد القائد عيسى بن عمر العبدي. إلا أن مدة حكمه لم تطل وبعد وفاته تولى القائد أحمد الحاجي حوالي سنة 1900.

4. أوج القيادة: أحمد الحاجي

يقول الفقيه المقدم السعيدي «... هذا الرجل له هيبة في قلوب الناس، لأنه كان لا يماري أحدا ولا يداريه، قوالا بالحق شديد الشكيمة على الظلمة حتى كان يجاوز الحد، وقد انحدر من عائلة كبيرة، وتقدمت لهم خدمات مع المخزن... وطالت مدته تسعة وثلاثين سنة ... ». وكانت وفاته يوم الأحد تاسع جمادى الأولى عام واحد وخمسين وثلاثمائة وألف، كما ورد عند الصديقي(7).

4 ـــ 1 ـــ مجال نفوذ القائد:

امتد نفوذ القائد الحاجي على عدة قبائل كما ورد عند أحمد الركراكي، منها أولاد الحاج ورثنانة وآرحامنة والحيمر والصويرة قبيلة واحدة، والمناصرة وتالة قبيلة أولاد عيسى وأهل الجمعة والمدارعة قبيلة المخاليف، والتوابيت قبيلة أنجور، أولاد اجرار وسيدي لعروصي والحارث وامزيلات وازراركة قبيلة، وهذه القبائل تحت حكم القائد المحترم السيد أحمد الحاجي(8)، ومن خلال ما أورده الركراكي يتبين أن مجال قيادة الحاجي كان واسعا جدا مما ساهم في توسيع إمكانياته المادية والعسكرية. إلا أن هذا المجال سوف يتقلص مع دخول الحماية.

4 ـــ 2 ـــ علاقة القائد بالفرنسيين

اتخذ القائد موقفا من دخول الفرنسيين. ونظرا لما قامت به قبائل الشياظمة من مقاومة للفرنسيين فقد قامت سلطات الحماية الفرنسية بنزع قبيلتين من حوزة القائد الحاجي وهما زاوية ابن أحمد وزاوية كرات وإضافتهما إلى قيادة خوبان(9). كما توضحه الرسالة التالية، وهي من الحاكم الفرنسي على الصويرة والمؤرخة بـ 20 فبراير 1913.

الحمد لله وحده. **كتب بالصويرة تاريخ 20 فبراير سنة 1913**
ربيع الأول 13 عام 1331

عدد 166.
من جناب السيد الكمندار الحاكم الكبير على دائرة حاحة والشياظمة بالصويرة إلـى القائد السيد أحمد ابن الطاهر الحاجي، السلام عليك. وبعد، فإن قبيلتك كانت مشتغلة بالخوض الفاحش لما جمعت الجموعة في شيشت وطريق آسفي ومراكش ولذلك فقد أمر جناب السيد الجنرال الحاكم الكبير على الجنود الفرنسوية بالمغرب أن تجـرى عليها العقوبات وهي كما يذكر فأولا فقد وصف عليها ذعيرة مبلغها خمسة آلاف ريال 5000 ومأتين وخمسين من بكل حبل القرطوس، ثانيا فقد نزع من أيالتك زاوية ابن أحمد، وزاوية كرات وأضافهما لإيالة خبان، ثالثا فتبقي الولاية بيدك على الوجه الموقت فقط إلى أن يظهر منك حسن السيرة فإن ظهر ذلك فتبقي على الوجه الثابت وإلا فلا وعليه فتتهيأ لقبض ما وجب على القبيلة من الذعيرة الحربية ولذلك تخبرنا بكيفية توزيعها على الفروق قبل أن تشرع في قبضها فمن يوم التاريخ رفعنا لك اليد على الزاويتين المذكورتين وما وجب على الزاويتين المذكورتين من الدعيرة الحربية فسيدفع في بير دار الخيرية بالصويرة من غير واسطة عامل فإننا أخبرنا القائد خبان بصيرورة الزاويتين في حكمه والسلام.

الحمد لله وحده. **كتب بالصويرة تاريخ أكتوبر 27 سنة 1913.**
موافق شهر قعدة الحرام 26 عام 1331.

من جناب السيد الكمندان الحاكم الكبير على دائرة حاحة والشياظمة بالصويرة إلى القائد أحمد بن الطاهر الحاجي السلام عليك وبعد فوصل كتابك في شأن الزاويتين فلا يخفى سبب التغيير الصادر من الحكومة الكبيرة فلهذا لا يتأتى إلا في الوقت. والسلام. كما كانت له مشادات دائمة مع المراقبين المدنيين بسبب تدخلهم في شؤون القبائل إضافة إلى ذلك فقد تجسدت بعض أعماله على الصعيد الوطني بمد يد المساعدة للمقاومين وفي هذا الإطار سبق للقائد أحمد الحاجي أن أمد قبائل أيت باعمران بالسلاح زمن القائد أنفلوس، مما جر عليه غضب الإقامة العامة التي بعثت له توبيخ.

علاقة القائد بباقي القواد.

عاصر هذا القائد عدد من القواد الكبار أمثال الكلاوي، الكندافي، العبدي والمتوكي. كانت له علاقات طيبة مع المتوكي حيث كانت تجمع بينهم علاقة

المصاهرة. وعلى العكس من ذلك، ساد تنافر حاد بينه وبين جاره القائد عيسى بن عمر العبدي الذي حاول تصفيته لولا تدخل القائد إدريس ابن عيسى بن عمر.

القائد احميدة الحاجي :

وهو الملقب بالقائد الحاجي الصغير تولى القيادة بعد وفاة إبن عمه القائد أحمد بن الطاهر سنة 1931 وكان قبل ذلك يشغل منصب خليفة القائد. عاصرت ولاية هذا القائد بالشياظمة بداية الحركة الوطنية وامتداد نشاطها وعلى حسب شهداء عيان فقد كان هذا القائد من المؤيدين والمساعدين لأقطاب الحركة الوطنية.وحافظ على الدور الثقافي والديني الذي أضحت تمثله القصبة أو دار الحاجي وكانت وفاته سنة1952.

المظاهر الحضارية لقيادة الحاجي :

تعتبر دار القائد الحاجي إحدى المعالم التاريخية والعمرانية، تزامن بناءها مع فترة حكم أول قائد من أسرة الحاجي القائد امبارك المبيري قبل ثلاثة قرون وحسب ما توصلنا إليه لعبت هذه الدار أدوارا هامة سياسيا واجتماعيا ودينيا خلال النصف الأول من القرن الحالي. (XX)

الجانب العمراني:

حينما نتحدث عن دار القائد الحاجي نقصد ذلك التجمع العمراني المحصن بسور، له مدخلان رئيسيان النخيلة والبئر، كما كان يطلق عليهما زمن القائد يؤديان إلى وحدات عمرانية وتجهيزات مرفقية متميزة بأقصى الجهة الجنوبية لإقليم آسفي.

من هذه المرافق داخل الدار نجد المسجد قسم كان يدرس فيه القرآن للأطفال وقسما للزاوية التيجانية كان مخصص لذكر أوراد الشيخ أحمد التيجاني ثم المنصة المرمرية التي كانت تتخذ مكانا للقضاء يستقبل فيه القائد شكايات سكان القبائل التي كانت داخل حوزته. ثم هناك مجموعة من المرافق المرتبطة بالدار كمطبخ كبير يضم أفرنة مختلفة الأحجام كان يشتغل به حوالي ثلاثون سيدة، وحمامات تقليدية ومع خزانا أرضيا للحبوب، ثم رباط للخيل يسع لحوالي 50 حصانا. هذا إضافة إلى مطحنة تقليدية مصنوعة من الحجر الصلب تديرها الدواب، ومخزن لزيت الزيتون.

هذا فضلا على الشكل المعماري المتميز الذي توجد عليه مجموعة الدور التي تتكون منها دار القائد الحاجي وجاصداها تبدو الرياضات التي تتلائم تصاميمها مع نظيراتها في البلدان الإسلامية. إضافة إلى هذا توجد قبة الضيوف التي تكون قريبة من المدخل وحجرة أخرى طولها 10 أمتار وعرضها 3. بها أفرشة من الأنواع الرفيعة وبالداخل تشكل بقية الحجرات محاطا يتوسطه فناء واسع تحيط به الأبهاء المرفوعة بالسواري المكسوة بالزليج الملون. وقد زينت بعض الغرف بنموذج من النقوش المعروفة في تاريخ العمارة الإسلامية.

جوانب أخرى :

عرفت هذه الدار قبل الحماية وبعدها بمحافظتها علـــى الشـــخصية المغربيـــة وساهمت مساهمة فعالة في العمل الوطني بما كانت تقدمه مـــن مســـاعدات ماديـــة ومعنوية لأعضاء الحركة الوطنية مثل ما قدمه القائد أحمد الحاجي من سلاح ومـؤن للقائد أنفلوس مما تسبب في نفيه لمدينة الصويرة بعدمـــا تـــأكد لسـلطات الحمايـــة تضامنه الوطني، كما شاركت هذه الدار في إعداد المواطنين للانخراط فـــي العمـــل الوطني. زار هذه الدار عدد من رجالات السياسة والفكر أمثال الســـلطان الحســـن الأول وعبد الحي الكتاني والمختار السوسي والمؤرخ عبد الرحمان بن زيـــدان. ولا يفوتنا الحديث عن المجال الترفيهي الذي كانت تمثله هذه الدار حيث كـــانت تتوفـــر على جوق نسوي للموسيقى الأندلسية يقوم بإحياء الحفلات. وجدير بالذكر أن هــــذا الجوق كان مكونا من النساء من مثل ريحانة الطرنجة وعود الصباح. إلخ. وكـــان يرأس هذا الجوق رجل من مراكش يدعى أبا هشوم.

الهوامش :

1) ــ الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ج 1 ، ص: 31.

2) ــ أحمد الناصري : الاستقصا ، ج 2.

3) ــ ابن منضور عبد الوهاب : "قبائل المغرب" ، ص: 324.

4) ــ حول دور الزوايا الرجراجية في المقاومة أنظر : محمد السعيدي : المقاومة بالزوايا الرجراجية ضمـــن "المقاومـــة المغربية ضد الاستعمار)1904) ــ (1955، كلية الآداب ، أكادير 15 – 13 نونبر1991 نشر المندوبيـــة الســـامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير .

5) ــ السعيدي محمد : جولات في حياة الفقيه الشيخ عبد الله بن محمد المقدم السعيدي الرجراجي ، مخطوط في ملكيـة المؤلف ، ص: 119.

6) ــ المقدم السعيدي : المرجع السابق ، ص: 118.

7) ــ الصديقي محمد بن سعيد : إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة ص: 31.

8) ــ الركراكي أحمد : الشموس المنيرة ، ص: 35.

9) ــ القائد العربي ابن امبارك خوبان من مواليد 1870 ، خلال سنة 1912 إنحاز إلى جانب الفرنسيين حســـب مـــا أورده Brochier وحين انتفضت قبائل حاحا تدخل القائد خوبان إلى جانب الكولونيل Bouloud كما تدخل علـــى رأس محلته في معارك أيت سريد. وبهذا نال رضى سلطات الحماية التي قدمت له خدمات منها نزع بعض القبائل مـــن قيادة أخرى وضمها لقيادة خوبان.

10) ــ عن رواية السيدة ريحانة أكثر من 80 سنة عازفة على الكمان لازالت تعيش بدار الحاجي بمراكش ، أجريـــت المقابلة سنة 1995.